شوق على قرب

للأستاذ ثروت أباظة

جلس إلى وفى عينيه قلة تترقرق ، وفى شفتيه بسمة تبدو وتغيب ومض البرق الخاطف ، وعلى وجهه أسى من ظن الخير فى غير مكانه. رأيت كل هذه التعبيرات على وجهه فكاد يخيل إلى أننى أرى مقالة رمزية عن حرب طحون تعتمل بنفسه ، فهششت له وهو الصديق الذى أصطفيه فأصفيه نفسى كلها . هششت فما زاد على أن ثبت من تلك البسمة الوامضة على فمه فإذا وجهه كله مشرق بضحكة آسية .. قلت :

— ماذا ؟ لقد كنت على أحسن ما أرجو لك بالأمس

— لا شئ

— لا شئ ؟ منذ متى تدخل هذه الكلمة فى حديثنا ... لا شئ ! أنى أنا لا أعرفك ! أأسألك ماذا بك ولا يكون بك شئ ... ألم تراك تخفى أمرا ؟ فإن كان كذلك فدعنى أولى عنك الوجه فلست صديقك بعد اليوم .. أرى مرى كله وتخفى عنى ألمك .. ماذا بك ؟ انطق

سمع الرجل الحديث وهو مطرق إلا بضع لحظات حاول فيها أن يجيب ولكنه احترم دفعتى تلك فعاد إلى إطراقه حتى أعمت فاذا هو رافع إلى دمعتين صافيتين .. يقول

— أشكرك على ثورتك فقد أرجعت لى نفسى

— وأين كانت ؟

— تبحث عنك

— عنى ... حذار أن تكون الثورة قد طغت على عقلك . تبحث عنى تقول وأنا لا أكاد أرى أحدا قدر ما أراك ... أجننت ؟

— أنت ترانى نعم ولكننى لا أراك أبدا

— لا ترانى ؟ لا ... لابد أن الثورة قد مست عقلك ... حسبى الله ونعم الوكيل .. أأنظر إليك من خص ؟ كيف أراك فلا ترانى ؟ أنتكلم كل يوم وليس بيننا من البعد إلا بقدر هذا النضد ... ثم أراك فلا ترانى ؟ أجننت رجل

— وأنا اليوم لم أرك إلا حينما ثرت

— إنك اليوم إما مجنون لم تعلم به الهيئات المختصة بعد ، أو حكيم عالى لم يشرق اسمه قبل . فأيهما أنت ؟ لا يمكن أن تكون رؤيتك لى محتاجة لكل هذه الثورة . أيهما أنت

— أنا صديقك

— أو يعنيك هذا عن أن تكون إما مجنونا أو حكيما. أتظن أن كونك صديق يعفيك من ...

— أراك تطيل الحديث ، اسمع ... لقد جئت اليوم مجلسك ورأيتك ولكننى جلست إليك أبحث عنك حتى ثرت هذه الثورة فوجدتك ، كنت قد فقدتك وكنت مشتاقا إليك الشوق كله . حتى ثرت فنديت الشوق ونقمته . كنت إذا رأيتنى فى

« إن كرومويل » لم تعينه سلطة عليا ، وإنما كان رجلا غامضا يقود عددا قليلا من الفرسان . وقد رفعت الثورة « بونابرت » إلى مركز جنرال ، ولكنه جعل من نفسه قائدا للأمة . وهنالك أمثلة حديثة تخطر ببال كل واحد منا . ومما لا سبيل إلى الشك فيه أن الزعيم الذى يتبوأ مركزه عن طريق القوة زعيم يتمتع بالصفات اللازمة للزعامة . ولو لم يتمتع بهذه الصفات لما تمكن من القوة التى تبوأها بفرض نفسه . والصعوبة ههنا أن تكتشف ما إذا كانت مواهب الزعيم مواهب رئيس حزب أو قائد أمة .

فإذا استولى زعيم على السلطة بنفسه واجهنا صعوبة إيجاد من يحيّ خليفة له . فابن كرومويل لم يحكم طويلا ، وابن بونابرت مات فى المنفى . وقد كره خليفة « لينين » ما كان قد تم من قبل فأتى عليه

ومن الحق أن نعترف بأن اختيار قائد مشكلة ليس لها حل صحيح ، وإنما الأمر يتوقف على الظروف السابقة . وعلى أهداف الأمة فى المستقبل . لكن شيئا واحدا نعرفه وهو أن الزعيم لا يستطيع أن يتمكن من مركزه منتخبا كان أو معينا ، وارثا أو مغتصبا ، إلا إذا حاز جميع الصفات المطلوبة فى الزعيم

(الكلام بقية) محمد أديب العامرى